

يَسرُّ مَوْقِعَ مِيرَاثِ الأَنبِيَاءِ أَن يُقَدِّمَ لَكُم سلسلة دروس

مجالس ميراث الأنبياء التأصيلية

**المستوى الأول**

سائلين اللهَ- تبارك وتعالى- أَنْ يَنْفَعَ بِهَا اَلجَمِيع،

شرح متن

للحافظ النووي

* رحمه الله تعالى -

ألقاه الشيخ: عبد القادر بن محمد الجنيد

-حَفِظَه اللهُ تَعَالَى –

**الدرس الأول**

الحمد لله العليِّ العظيم القويِّ المتين، الخالق الخلق أجمعين، ومنشئ الأيام والشُّهور، وممضي الأعوام والدُّهور، ومقلب اللَّيل والنَّهار، ومغير الأحوال من عسر إلى يسر، ومن ضيق إلى سعة، ومن كرب إلى فرج، ويدير الأيام بين عباده؛ عبرة لذوي العقول والأبصار.

وأشهد أن لا إله إلا الله الغفور الشَّكور، الذي لا ندّ له ولا نظير ولا ظهير، وأشهد أن محمَّدًا -عبده ورسوله- الذي عمر سنينه وشهوره وأيامه في طاعة ربه ومولاه، وعبادة خالقه وبارئه؛ فغُفرت له جميع الذُّنوب والزَّلات، ونال المنازل العالية وجزيل المكرمات، وصلَّى الله وسلَّم وبارك عليه وعلى آل بيته، وأصحابه الدَّائبين في طاعته ما تكررت الأعوام والسَّاعات، وتعاقب اللَّيل مع النَّهار،

أمَّا بعد:

فيا أيُّها الإخوة والأخوات،

جمَّلكم الله بكل خلق رفيع، وزيَّنكم بالتَّوحيد والسنة، وأنزلكم منزلًا مباركًا يوم تلقوه،

ألتقي معكم في هذه اللَّيلة ليلة الأربعاء، الليلة الثَّالثة والعشرين من شهر الله المحرم من العام ألف وأربعمائة وخمسة وثلاثين من الهجرة، وذلك في أول درس من دروس شرح تهذيب السِّيرة النَّبوية، للعلَّامة أبي زكريا النَّووي الشَّافعي -رحمه الله-،

فأسأل الله تعالى أن ينفعني وإيَّاكم بما ستستمعون، وأن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأن يزيدنا فقهًا في دينه وبصيرة بأحكام شريعته، إنه سميع الدُّعاء.

وقبل البدء في الشَّرح والتَّعليق على هذا المتن المختصر؛ أقدم بمقدمات ثلاث؛ فأقول مستعينًا بالله –جلَّ وعلا-:

المقدمة الأولى:

كاتب هذه السِّيرة المختصرة، هو فقيه الشَّافعية ومحدثهم: أبو زكريا محي الدِّين بن شرف النَّووي الشَّافعي الدِّمشقي-رحمه الله-، صاحب المصنفات المشهورة التي طارت بها الرُّكبان، وكثر استعمال العلماء وطلاب العلم لها،

كـ «رياض الصَّالحين»، و«شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج»، و«شرح صحيح أبي عبد الله البخاري»، و«الإيجاز في شرح سنن أبي داود»، و«المجموع شرح المهذب»، و«التَّقريب والتَّيسير لمعرفة سنن البشير النَّذير في أصول الحديث»، و«تهذيب الأسماء واللُّغات»،

المقدمة الثَّانية:

هذه السِّيرة المختصرة لم يُفردها النَّووي-رحمه الله- بكتاب خاص مستقل، وإنَّما ذكرها في أول كتابه تهذيب الأسماء واللُّغات، وقد استلَّها منه بعض المعاصرين؛ وأفردوها بالطِّباعة في رسالة صغيرة مستقلَّة، وكتاب تهذيب الأسماء واللُّغات؛ موضوعُه يتعلق بالأسماء واللُّغات، وقد أشار إلى ذلك النَّووي- رحمه الله- في أول هذا الكتاب في مقدمته، فذكر أنَّه جمع الألفاظ الموجودة في مختصر أبي إبراهيم المزني، والمهذب، والتَّنبيه، والوسيط، والوجيز، والرَّوضة، من كتب الشَّافعية.

وذكر أن هذه الكتب السِّتة: قد جمعت ما يُحتاج إليه من اللُّغات، وأنه ضم إليها جملًا يُحتاج إليها لم تُذكر فيها؛ ليعُم الانتفاع في هذا الكتاب، فيُنتفع به في باب اللُّغة، وباب المصطلحات الشَّرعية، والألفاظ الفقهية.

وذكر أنه ضم إلى هذه الألفاظ: أسماء الرِّجال، والنِّساء، والملائكة، والجنّ، وغيرهم ممن ذُكر في الكتب السِّتة المتقدِّمة، سواءً كان المذكور مسلمًا أو كافرًا، برًّا كان أو فاجرًا، وخصص هذه الكتب بالكلام على ألفاظها؛ لشهرتها بين فقهاء الشَّافعية، وتلامذتهم، وكثرة تداولهم لها.

المقدِّمة الثَّالثة:

أفصح النَّووي–رحمه الله-، عن سبب تقديمه كتابه تهذيب الأسماء واللُّغات: "بالسِّيرة النَّبوية"؛ فذكر أن مقصوده بذكر هذه السِّيرة، وإيرادها في هذا الكتاب؛ هو تشريفه بتصدير بعض أحوال رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم-، وتساءل كيف لا يشرف كتابٌ صُدِّر بأحوال الرسول – صلَّى الله عليه وسلَّم-، خاتم النَّبيين وهادي الأمَّة ونبيّ الرَّحمة – صلَّى الله عليه وسلَّم-؟!

المتن:

ثم قال–رحمه الله-:

**الحمد لله خالق المصنوعات، وبارئ البريات، ومُدبّر الكائنات، ومُصرّف الألسن النَّاطقات، ومفضّل لغة العرب على سائر اللُّغات، المُنزل كتابه والمرسل رسوله وحبيبه محمَّدًا- صلَّى الله عليه وسلَّم- بها تنويهًا بشأنها، وتعريفًا بعظم محلها، وارتفاع مكانها.**

**أحمده أبلغ الحمد وأكمله، وأزكاه وأشمله، وأشهد أن لا إله إلا الله اللَّطيف الخبير، الرؤوف الرَّحيم، وأشهد أن محمَّدًا عبده ورسوله، وحبيبه وخليله- صلَّى الله عليه وسلَّم وعلى سائر النَّبيين وآل كلٍّ وسائر الصَّالحين-،**

ثم قال –رحمه الله-:

**فصل: ابتدأ التَّاريخ في الإسلام من هجرة رسول الله- صلَّى الله عليه وسلَّم- من مكة إلى المدينة، وهذا مُجمع عليه، وأول من أرَّخ بالهجرة: عمر بن الخطاب- رضي الله عنه-، سنة سبع عشرة من الهجرة.**

الشرح:

وفي هذا المقطع من كلام النَّووي– رحمه الله-ثلاث مسائل:

المسألة الأولى:

أن التَّاريخ الإسلامي، الذي نعمل به الآن في حساب السِّنين، قد أُرّخت بدايته بهجرة النبي– صلَّى الله عليه وسلَّم-من مكة إلى المدينة بإجماع؛ ولهذا يُنسَب إليها فيُقال: التَّاريخ الهجري، ومراده بالإجماع؛ إجماع الصَّحابة– رضي الله عنهم-، وممن نقل إجماعهم أيضًا على ذلك: الحافظ ابن كثير في كتابه: « البداية والنهاية»، والحافظ ابن حجر العسقلاني في «أماليه»، وصاحب حماة في كتابه:«المختصر في أخبار البشر»،

وقد أخرج البخاري في صحيحه: عن سهل بن سعد ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: «مَا عَدُّوا -يعني بهم الصَّحابة- مِنْ مَبْعَثِ النَّبِيِّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَلَا مِنْ وَفَاتِهِ مَا عَدُّوا إِلَّا مِنْ مَقْدَمِهِ الْمَدِينَةَ»،

ويعني بقوله: «مَا عَدُّوا» ما عدّوا التَّاريخ إلا بهجرته إلى المدينة -صلَّى الله عليه وسلَّم-ومقدمه إليها، وقد وقعت للمسلمين في زمن النَّبي-صلَّى الله عليه وسلَّم–هجرتان:

* الأولى الهجرة إلى الحبشة،
* والثانية:الهجرة إلى المدينة،

وسُمِّي المهاجرون من الصَّحابة-رضي الله عنهم – المهاجرين؛ لأنهم تركوا ديارهم ومساكنهم التي نشأوا فيها؛ فرارًا بدينهم ونصرة له، ولحقوا بدارٍ ليس لهم بها أهل ولا مال، حين هاجروا إلى المدينة.

وقد انقطعت هذه الهجرة المباركة على أصحابها بفتح مكة، فقد أخرج البخاري ومسلم عن مجاشع بن مسعود أنه قال: جاء مجاشع بأخيه مجالد بن مسعود إلى النبي-صلَّى الله عليه وسلَّم – فقال: « هَذَا مُجَالِدٌ يُبَايِعُكَ عَلَى الْهِجْرَةِ، فَقَالَ: لَا هِجْرَةَ بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ وَلَكِنْ أُبَايِعُهُ عَلَى الْإِسْلَامِ»،

وقد كان وصول النبي- صلَّى الله عليه وسلَّم- إلى المدينة في يوم الإثنين، قريبا من الزَّوال بثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول، هذا هو المشهور الذي عليه جماهير أهل العلم، من أهل التَّاريخ والسِّير والمغازي، نسب ذلك إليهم الحافظ ابن كثير -رحمه الله- في كتابه «البداية والنِّهاية»، بل ذكر الحافظ ابن حجر العسقلانيّ- رحمه الله- أن القدوم إلى المدينة: كان في شهر ربيع الأول بلا خلاف بين أهل العلم.

وقد أخرج الإمام أحمد -رحمه الله-بسند فيه ضعف يسير، فيه عبد الله بن لهيعة: عن ابن عباس - رضي الله عنهما- أنه قال:« وُلِدَ النبيُّ- صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ- يومَ الإثنينِ، واستُنْبِئَ يومَ الإثنينِ، وتوفيَ يومَ الإثنينِ، وخرج مهاجرًا من مكةَ إلى المدينةِ يومَ الإثنينِ، وقَدِمَ المدينةَ يومَ الإثنينِ، ورُفِعَ الحجرُ الأسودُ يومَ الإثنينِ».

لكن لهذا الحديث طُرق تقوّيه، وكذلك له شواهد موصولة، وشواهد مُرسلة تعضُده، بل قد ذكر الكتَّاني في «نظم المتناثر من الحديث المُتواتر»، أن الحاكم –رحمه الله– ذكر أن أحاديث خروج النَّبيّ– صلَّى الله عليه وسلَّم– من مكَّة يوم الإثنين ودخوله المدينة يوم الإثنين متواترة، وقد كانت مدة إقامته – عليه الصَّلاة والسلام–بمكَّة بعد البعثة، ثلاث عشرة سنة في أصح الأقوال، وبالمدينة عشر سنين، ثم توفَّاه الله– عزَّ وجل-، وقد أخرج البُخاري واللفظُ له ومُسلم، عن ابن العباس **-** رضي الله عنهما- أنه قال: « بُعِثَ رَسُولُ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِأَرْبَعِينَ سَنَةً فَمَكَثَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً يُوحَى إِلَيْهِ ثُمَّ أُمِرَ بِالْهِجْرَةِ فَهَاجَرَ عَشْرَ سِنِينَ فَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-» وذهب جمعٌ من الصَّحابة والتَّابِعين إلى أنه أُوحي إليه وهوابن ثلاث وأربعين سنة، فمكث في مكَّة عشرًا، وبالمدينة عشرًا.

وقد هاجر النَّبيّ– صلى الله عليه وسلم–وأصحابُه من مكَّةإلى المدينة؛ بسبب ما لقوهُ من الأذى من كفار قريش، وما لحِق بهم من ضرر، وحصل عليهم من اعتداء وبغيٍ وعدوان، وقد ثبت عن النَّبيّ– صلى الله عليه وسلم، وقد ثبت عن عبد الله بن عدي بن حمراء – رضي الله عنه– أنه قال: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَاقِفًا عَلَى الْحَزْوَرَةِ فَقَالَ- يعني عن مكَّة- فقال:- وَاللهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللهِ وَأَحَبُّ أَرْضِ اللهِ إِلَى اللهِ، وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ»،

وقد صحَّح هذا الحديث أو ثبته التِّرمذي وابن خزيمة والحاكم، وابن حِبان وابن عبد البرّ، والطُّوسي، وابن تيمية، والذَّهبي، وابن المُلقِّن، وابن حجر العسقلاني، والألباني، وله شواهد عن ابن عباس، وعن أبي هريرة، وعن الحارث بن هشام-رضي الله تعالى عنهم-.

ففرَّق الله بهذه الهجرة بين أوليائه وأعدائه، وجعلها مبدأً لإعزاز دينه ونصر عبده ورسوله محمَّد – صلوات الله وسلامه عليه-، وصارت المدينة لهم أرضًا وبلدًا فيأمنون فيها على أنفسهم، وعلى أهليهم، وعلى أموالهم، ويقيمون فيها دينهم ويتعلمونه ولا يُضطهدون فيه، وينشرونه، ويبلغونه منها: بالحجَّة والبيان، وبالسيف والبنان.

وقد شَرُفَت المدينة بهجرته- صلَّى الله عليه وسلَّم- إليها، وصارت كهفًا لأولياء الله وعباده الصَّالحين، ومعِقلًا، وحصنًا منيعًا للمسلمين، ودار هدى للعالمين، صارت مأرِزَ الإيمان، ودار الحكم والخلافة، ومُنطلق الدعوة والجهاد.

وقد أخرج البخاري ومسلم عن النَّبيّ-صلَّى الله عليه وسلَّم-أنه قال: «إِنَّ الْإِيمَانَ لَيَأْرِزُ إِلَى الْمَدِينَةِ كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا».

المسألة الثَّانية:

أن واضع التَّاريخ الهجري هو الخليفة الرَّاشد المهديّ عمر بن الخطاب-رضي الله عنه-، وهذا هو الصَّحيح المشهور في الآثار الواردةِ عن التَّابعين كابن المسيِّب، وابن سيرين، وميمون بن مهران، والشَّعبي وأبي الزناد، وإليه ذهب جماهير أهل العلم من أهل التَّاريخ، والسِّير، والمغازي، وغيرهم.

وقد أخرج الحاكم في المستدرك عن سعيد بن مسيب أنه قال:"جمع عمر النَّاس فسألهم: من أي يومٍ يكتب التَّاريخ؟ فقال علي بن أبي طالب-رضي الله عنه-: من يوم هاجر رسول-صلَّى الله عليه وسلَّم- وترك أرض الشِّرك، ففعله عمر-رضي الله عنه-" وقد صححه الحاكم ووافقه الذهبي.

وقال بعض أهل العلم -وهم قلة-: إن واضع التَّاريخ الهجري هو رسول الله- صلَّى الله عليه وسلَّم-؛ لما روى الحاكم في «الإكليل» عن الزُهري-رحمه الله- أنه قال:"لما قَدِمَ النَّبيّ-صلَّى الله عليه وسلَّم-المدينة، أمر بالتَّاريخ فكُتِبَ في ربيعٍ الأوَّل" إلا أن هذا الأثر أثرٌ مُعضل، والمشهور في الآثار خلاف ذلك، وأيضًا في متنه اختلاف يُغَيِّرُ معناه، وقد رواه يعقوب بن سفيان بلفظ: " التَّاريخ من يوم قَدِمَ النَّبيّ-صلَّى الله عليه وسلَّم-المدينة مهاجرًا" وهذا ليس فيه أن النَّبيّ-صلَّى الله عليه وسلَّم-هو الذي أرَّخ بهذا التَّاريخ، وإنَّما فيه الإِخبار أن التَّاريخ قد بُدِئ بهجرته، وهذا هو ما فعله الصَّحابة-رضي الله عنهم-.

وقد اختار عمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، أن تبدأ السَّنة الهجرية من شهر الله المحرَّم، فمضى واستقرَّ عملُ المسلمين على ذلك منذ ذلك العهد وإلى اليوم، مع أن الهجرة كانت في شهر ربيعٍ الأوَّل، وهذا هو قول جمهور الأئمَّة، كما ذكر ذلك الحافظ ابن كثير – رحمه الله – في كتابه البداية والنِّهاية.

وقد قيل في سبب جعل أصحابِ النَّبيّ– صلَّى الله عليه وسلَّم– شهرَ الله المحرَّم هو أول السَّنة، قيل: إنه أوَّل شهور العرب، فجعلوا بداية السَّنة بهذا الشَّهر حتى مُوافقةً للمعروف بين النَّاس، وحتى لا يختلِط النِّظام.

وقيل: إنَّما جعلوه في شهر الله المُحرَّم مع أن الهِجرة وقعت في شهر ربيع الأوَّل؛ أن العزم كان على الهجرة في شهر الله المُحرم، وحصل الخروج في شهر ربيع الأوَّل، وقيل غير ذلك.

المسألة الثَّالثة:

الذي يتضمَّنها كلام النَّووي– رحمه الله – المُتقدِّم، أنَّ بداية العمل بالتَّاريخ الهجريّ كانت سنة سبع عشرة من الهجرة، وهذا أحد الأقوال، وقيل في سنة ست عشرة، وقيل في سنة ثماني عشرة.

وأُنبِّهُ هنا على أُمُورٍ ثلاثة:

الأوَّل:

عن فوائد التَّاريخ، عن فوائدِ وضعِ التَّاريخ:لا ريب أن في وضعِ هذا التَّاريخ، تأريخ بالهجرة فوائد، ومن هذه الفوائد:معرفةُ الآجال وحُلُولِها، كآجال الدُّيون متى تبدأ؟ ومتى تحِلّ؟ وكآجال الإجارة متى تبدأ؟ ومتى تحِلّ؟ وأيضًا معرفة آجال انقضاء العِدد، ومعرفة أوقات التَّآليف، ووفاة الشُّيوخِ ومواليدهم، والرُّواة عنهم، فيُعرَف بذلك أهلُ الصِّدق من أهل الكذب.

التَّنبيه الثَّاني:

جرت عادة العرب قبل الإسلام على تأريخ أمورهم على حسب الوقائع العظام التي تحدث في زمنهم من حروب وغيرها، فأرخوا بالأيام المشهورة كحرب البسوس، وداحس والغبراء، وبيوم ذي قار وغيرها.

التَّنبيه الثَّالث:

وهو عن الاحتفال بذكرى الهجرة النَّبوية، الاحتفال جرت عادة جموع من النَّاس على الاحتفال في المساجد أو البيوت أو الاستراحات أو الطُّرقات أو غيرها من الأماكن بذكرى هجرة النَّبيّ -صلَّى الله عليه وسلَّم-من مكَّة إلى المدينة،

ولاريب أن المحتفل بهذه الذكرى لايسير في احتفاله هذا على سنَّة النَّبيّ -صلَّى الله عليه وسلَّم-، بل هو مشاقٌّ لها ومخالف؛ لأنه - صلَّى الله عليه وسلَّم-لم يحتفل ولا حتى أُمَّته، ودعاهم إلى الاحتفال.

وكذلك المُحتفل بهذه الذِّكرى لايسير على هدي السَّلف الصَّالح من أهل القرون الثَّلاثة الأوَّلى، وعلى رأسِهم الصَّحابة-رضي الله عنهم -؛ لأنهم لم يحتفلوا ولا دعوا من في عهدهم ولا من بعدهم إلى الاحتفال.

وكذلك المحتفل بهذه الذكرى لايسير على طريق الأئمَّة الأربعة: أبي حنيفة، والشَّافعي، ومالك، وأحمد- رحمهم الله-، ولا غيرهم من الأئمَّة؛ أئمَّة الإسلام الأوائل ولا يتابعهم؛ لأنهم لم يحتفلوا ولا دعوا أحدًا إلى الاحتفال ولا رغبوه فيه، والعجيب أنه يحتفل ومع هذا يزعم أنه على مذهب أحد هؤلاء، وهو في وادٍ وإمام مذهبه-رحمه الله-في وادٍ آخر.

والعلماء العارفون بنصوص القرآن والسُّنة يحكمون على ماكان هذا حاله من هذه الأمور بأنه بدعة، والبدعة من أشدّ المحرمات وأغلظها جرمًا.

فقد صحَّ عن النَّبيّ - صلَّى الله عليه وسلَّم- أنه كان يحذر منها في خطبه، فيقول: «وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»،

وثبت عنه -صلَّى الله عليه وسلَّم- أنه قال للنَّاس في خطبته الوداعية: «وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»،

وثبت عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه - أنه قال:"وإن شر الأمور محدثاتها،ألا وإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار".

ولا ريب عند الجميع بأن ما وصف في الشَّرع بأنه شرّ، وأنه ضلالة، وتوعد عليه بالنَّار لايدخل إلا في المحرَّمات، والسَّيئات، والمنكرات، والخطيئات.

واعلموا سدَّدكم الله: أن المحتفل بهذه الذِّكرى متشبِّه بصنفين من النَّاس:

* الصِّنف الأوَّل: أهل الكفر بجميع مللهم، فهم من جرت عادتهم على الاحتفال بالحوادث، ووقائع الأيام، وتغيُرات الأحوال.
* الصنف الثَّاني: أهل الضلال والانحراف من الباطنية والرَّافضة وأضرابهم، فهم من أحدث هذا الاحتفال، وأحدث غيره من الاحتفالات في بلاد المسلمين.

وقد ذكر الفقيه الشَّافعي، والمؤرِّخ المصري المشهور بالمقريزي– رحمه الله– في كتابه«الخِطط» أن الاحتفال برأس السَّنة الهجرية كان من احتفالات الدولة العبيدية الباطنية الإسماعيلية الرَّافضية الخارجيَّة التي استولت على بلاد المغرب ومصر، وفعلت بعلمائها، ومؤذنيها، وسكانها من الجرائم ما لا يكاد يوصف من القتل، والتَّمثيل بالجثث، وسبي الحريم، وأخذ الأموال، وإفساد الممتلكات وتخريبها وتحريقها، حتى إن من زعماء هذه الدَّولة من ادَّعى الرُّبوبية، ومنهم من أظهر سبّ الأنبياء والصَّحابة، وأمر بأن يكتب سبّ أصحاب رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم- على أبواب المساجد،

ومنهم من أمر بحرق المصاحف، وحرق مساجد أهل السُّنة، بل إن مؤرخ المسلمين شمس الدِّين الذَّهبي الدِّمشقي الشَّافعي-رحمه الله - قد قال في كتابه «سير أعلام النبلاء» عن أهل هذه الدَّولة:"إنهَّم قد قلَبوا الإسلام، وأعلنوا الرَّفض، وأبطنوا مذهب الإسماعيلية"، ثم نقل عن القاضي عياض المالكي –رحمه الله– أنه قال في شأنهم: "أجمع العلماء في القيروان أنَّ حال بنى عبيد، حال المرتدين والزَّنادقة"،

ولا ريب أنَّ التَّشبه بهذين الصِّنفين شر على فاعله، وخسارة له وبوار، فقد ثبت عن النَّبيّ- صلَّى الله عليه وسلَّم– أنه قال: « مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»، فهل يرضى محب للسُّنة النَّبوية، ومحب لنبي الأمة -صلوات الله وسلامه عليه-،ولأصحابه الأئمَّة الميامين، هل يرضى أن يكون هؤلاء القوم، ومن هذه فعالهم وخصالهم، ومن هذا تاريخهم وهذه سيرتهم، قدوته في هذا الاحتفال وسلفه؟!!

لا ريب أن العاقل، الغيور على دينه، والخائف من ربه -عزَّ وجل-لا يرضى بذلك، وإنَّا بحمد الله –جل وعلا– في باب الاحتفال بهذه الذكرى وغيرها، سنتشبه بالنَّبيّ- صلَّى الله عليه وسلَّم-، وأصحابه، والتَّابعين، وغيرهم من أئمَّة من أهل القرون الأوَّلى فنتركه، ونهجره كما تركوه ولم يفعلوه عسى أن يُلحقنا الله بهم، ولن نتشبه بأهل الكفر، ولا بأهل الضلال والانحراف من الباطنية الإسماعيلية الرافضيَّة الخارجية.

ثم إنَّ هجرة النَّبيّ-صلَّى الله عليه وسلَّم- إلى المدينة لمن له عقل وإدراك، لم تكن في شهر الله المحرم، ولا في أول يوم منه، وإنما كانت في شهر ربيع الأوَّل كما ذكر أهل التَّاريخ، والسِّير، والمغازي، والذي وقع من الصَّحابة إنَّما هو تحديد السِّنين الإسلامية بسنة الهجرة بجعلها أول السِّنين، وليس التَّحديد بيوم الهجرة، وإنمَّا هو أول أيام السَّنة.

المتن

ثم قال النَّووي-رحمه الله تعالى-:

**وهذه أحرف في بيان جملة من الأمور المشهورة في كل سنة من سني الهجرة إلى وفاة رسول الله- صلَّى الله عليه وسلَّم- على ترتيب السِّنين، وهي عشر سنين.**

الشرح:

وفي هذا المقطع من كلام النَّووي-رحمه الله- الإشارة إلى أمرين:

الأمر الأوَّل:

أن النَّبيّ-صلَّى الله عليه وسلَّم-مكث في المدينة بعد الهجرة من مكَّة عشر سنين، حتى توفاه ربه -عزَّ وجل-، ومُقَامُهُ-صلَّى الله عليه وسلَّم-بالمدينة عشرًا بعد هجرته إليها، قد نقل النَّووي-رحمه الله-عدم الخلاف فيه بين العلماء في نفس كتابه هذا فقال:"ثم هاجر إلى المدينة فأقام بها عشر سنين بلا خلاف"،

وقد تقدم ما أخرجه البخاريّ ومسلم عن ابن عباس-رضي الله عنهما-أنه قال: «فَهَاجَرَ عَشْرَ سِنِينَ فَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-».

الأمر الثَّاني:

أنه سيذكر جملةً أو بعضًا من الأمور التي وقعت في هذه العشر سنين التي قضاها النَّبيّ-صلَّى الله عليه وسلَّم-بعد الهجرة إلى المدينة إلى أن توفاه الله -عزَّ وجل-وسيرتبها على حسب ترتيب هذه السِّنين، فيبدأ بالأولى، ثم التي تليها، حتى يصل إلى السَّنة العاشرة وما جرى فيها.

المتن

ثم قال النَّووي-رحمه الله-:

**الأولى: فيها بنى النَّبيّ-صلَّى الله عليه وسلَّم-مسجده ومساكنه، وآخى بين المهاجرين والأنصار، وأسلم عبد الله بن سلام، وشُرع الآذان.**

الشرح:

فذكر-رحمه الله - خمس وقائع حصلت في السَّنة الأوَّلى من الهجرة:

الوقعة الأوَّلى:

بناء مسجده الشَّريف-صلوات الله وسلامه عليه-وقدشارك-صلَّى الله عليه وسلَّم-أصحابه في بنائه بنفسه الشَّريفة، فكان ينقل معهم لَبِنَهُ، فقد جاء في «صحيح البخاري»:« وَطَفِقَ رَسُولُ اللهِ-صلَّى الله عليه وسلَّم-يَنْقُلُ مَعَهُمْ اللَّبِنَ فِي بُنْيَانِهِ وَيَقُولُ وَهُوَ يَنْقُلُ اللَّبِنَ: هَذَا  أَبَرُّ رَبَّنَا وَأَطْهَرْهَذَا الْحِمَالُ لَا حِمَالَ خَيْبَر، وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنَّ الْأَجْرَ أَجْرُ الْآخِرَهْ فَارْحَمْ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَهْ»

والتَّعديل في بناء مسجدِه -صلوات الله وسلامه عليه-يدلُّ على أهمية المساجد في الإسلام، وأنَّه يُبدأ بها وتقدَّم على كثير.

الوقعة الثَّانية:

بناء حُجرٍ حول مسجده – صلَّى الله عليه وسلَّم- لتكون مساكن له ولأهله، ولم تكن مساكنه– صلَّى الله عليه وسلَّم- هذه كمساكن أهل الزَّعامة أو أهل الوجاهة أو أهل التَّرف في زمنه ولا قبله ولا بعده، يتطاولون فيها ويتباهون بها وتذهب الأموال الكثيرة في بُنيانها وتجميلها وتأثيثها، بل كانت حُجُرات من زهِد في الدُّنيا وملذَّاتها ولم يلتفت إلى بَهرجها وزخرفها، زُهد من لم تكن الدُّنيا همَّه، ما هي إلَّا حُجُرات بنيت من لبنٍ وطينٍ وشيءٍ من الحجارة وسقوفها من جذوع وجريد النَّخل، وقصيرة البِناء يطول الغُلام الفارع سُقفها بيدِه، والقصد منها مواراة النَّفس والأهل والسَّتر عن أعين النَّاس،

وقد قيل إنَّه بنى منها بعد المسجد حُجرتان، إحداهما لسودة بنت زمعة، والأخرى لعائشة بنت أبي بكر –رضي الله عنهما –، حيث لم يكن رسول الله –صلَّى الله عليه وسلَّم- إذْ ذاك متزوِّجًا بغيرهما، وكلّما تزوج بواحدةٍ بُنيت لها حُجرة، حتى وصلت إلى العدد الذي مات وهي عليه، ثُمَّ أضيفت الحُجر كلُّها بعد موت زوجاتِه أمَّهات المؤمنين–رضي الله عنهنَّ- إلى المسجد.

الوقعة الثَّالثة:

مُؤاخاته – صلَّى الله عليه وسلَّم-بين الصَّحابة من المهاجرين مع إخوانهم من الأنصار-رضي الله عنهم – فآخى بينهم، وحالف في دارِ أنس بن مالك –رضي الله عنه-وكانوا تسعين رجلًا نصفهم من المُهاجرين ونصفهم من الأَنصار؛ لأجل ارتفاق بعضهم ببعض؛ وليتألف قلوب بعضهم على بعض، وترتَّب على هذه المُؤاخاة والمُحالفة مواساة الأنصار لإِخوانهم المُهاجرين في العيش، وتوارث بعضهم من بعض بعد الموت، حتى أنزل الله قوله –تعالى-: ﮋ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﮊ[الأنفال:75]

فتوقَّف هذا التَّوارث وصاروا يتوارثون بالقَرابة دون عقد الأخوة والمُؤاخاة، فآخى –صلَّى الله عليه وسلَّم– بين أبي عُبيدة بن الجرَّاح وبين أبي طلحة، وآخى وحالف بين عبدالرَّحمن بن عوف وبين سعد بن الرَّبيع، وآخى بين سلمان الفارسي وبين أبي الدَّرداء، وحالف وآخى بين غيرهم – رضي الله تعالى عنهم أجمعين-،

وقد أخرج البُخاريُّ- واللّفظُ له-ومسلمٌ، عن أنس -رضي الله عنه- أنه قال: «حَالَفَ النَّبِيُّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بَيْنَ الْأَنْصَارِ وَقُرَيْشٍ فِي دَارِي الَّتِي بِالْمَدِينَةِ »، وقد ضرب لنا الأَنصار -رضي الله عنهم- أروَع الأَمثلة في هذه المُؤاخاة، وهذا الارتفاق، وهذه الرحمة بإخوانهم من المُهاجرين.

فأخرج البُخاري عن أنس بن مالك -رضي الله عنه-أنَّه قال: «قَدِمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ الْمَدِينَةَ فَآخَى النَّبيّ-صلَّى الله عليه وسلَّم-بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيّ، وَكَانَ سَعْدٌ ذَا غِنًى فَقَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ أُقَاسِمُكَ مَالِي نِصْفَيْنِ وَأُزَوِّجُكَ، قَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ دُلُّونِي عَلَى السُّوقِ»،

وفي لفظ:" قدم عبد الرَّحمن بن عوف فآخى النَّبيّ-صلَّى الله عليه وسلَّم-بينه وبين سعد بن الرَّبيع الأَنصاري وعند الأَنصاري امرأتان، فعرض عليه أن يُناصفه أهله وماله، فقال: « بَارَكَ اللهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ دُلُّونِي عَلَى السُّوقِ »،

وقوله:« دُلُّونِي عَلَى السُّوقِ » يدلُّ على عِظم ما كان عليه المهاجرون من أصحاب رسول الله- صلَّى الله عليه وسلَّم- من رَفيع خُلقٍ بحيث لم يكُن منهم إلَّا الرِّفقَ بإخوانهم من الأَنصار -رضي الله عنهم -، وعدم المشَّقة عليهم في أموالهم وفي أنفسهم.

وقد حَمد المُهاجرون الأَنصارَ على ما فعلوه معهم، وأثنوا عليهم به، وحفظوا لهم هذا المعروف ولم ينسوه، لقد أخرج الإمام أحمد والتِّرمذي عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- أنُّه قال: « لَمَّا قَدِمَ النَّبيُّ-صلَّى الله عليه وسلَّم -الْمَدِينَةَ أَتَاهُ الْمُهَاجِرُونَ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ مَا رَأَيْنَا قَوْمًا أَبْذَلَ مِنْ كَثِيرٍ وَلَا أَحْسَنَ مُوَاسَاةً مِنْ قَلِيلٍ مِنْ قَوْمٍ نَزَلْنَا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ لَقَدْ كَفَوْنَا الْمُؤْنَةَ وَأَشْرَكُونَا فِي الْمَهْنَإِ، حَتَّى لَقَدْ خِفْنَا أَنْ يَذْهَبُوا بِالْأَجْرِ كُلِّهِ، فَقَالَ النَّبيّ-صلَّى الله عليه وسلَّم-:لَا مَا دَعَوْتُمْ اللهَ لَهُمْ وَأَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِمْ»، وهو حديث قد صحَّحه التِّرمذي والبوصيري والألباني، وذكره الضِّياء في المختارة.

وقال ابن كثير:" هذا حديثٌ ثلاثي الإسناد على شرط الصَّحيحين"، فرضي الله عن الصَّحابة أجمعين من المُهاجرين و الأنصار وغيرهم، ولم تقع مؤاخاة بين المُهاجرين مع بعضهم كما يذكر بعضهم أنَّ النَّبيّ–صلَّى الله عليه وسلَّم– قد آخى بين أبي بكر وعُمر، وأنَّه آخى عليَّا ونحو ذلك، بل كلُّ هذا باطلٌ باتفاق أهل المعرفة، ولا يصحُّ فيه حديث، ذكَر ذلك الإمام ابن تيمية –رحمه الله – كما في مجموع الفتاوى.

ولا يُشرع في الإِسلام مثل هذه المُؤاخاة وهذا الحلف بما أخرجه مسلم عن جبير بن مطعم أن رسول الله –صلَّى الله عليه وسلَّم قال: «لَا حِلْفَ فِي الْإِسْلَامِ».

وأمَّا المُؤاخاة التي يُقصد بها التَّعاون على البرِّ والتقوى فأكثر العلماء لا يرونها اكتفاء بالمؤاخاة الإِيمانية المذكورة في قوله تعالى: ﮋ ﯜ ﯝ ﯞ ﮊ الحجرات: ١٠

ذكر ذلك الإمام ابن تيمية – رحمه الله – ونسبه إلى أكثرهم كما في مجموع الفتاوى.

الوقعة الرَّابعة:

إسلام الصَّحابيُّ الجليل عبد الله بن سلام الإسرائيلي، وهو من ذريَّة يوسف النَّبيّ الكريم – عليه السَّلام-، وأحد الأحبار، ومن يهود بني قينقاع -رضي الله تعالى عنه -، وقصَّة إسلامه قد ذكرها البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك -رضي الله عنه- أنّه قال : «فَقِيلَ فِي الْمَدِينَةِ جَاءَ نَبِيُّ اللهِ جَاءَ نَبِيُّ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَأَشْرَفُوا يَنْظُرُونَ وَيَقُولُونَ جَاءَ نَبِيُّ اللهِ جَاءَ نَبِيُّ اللهِ، فَأَقْبَلَ يَسِيرُ حَتَّى نَزَلَ جَانِبَ دَارِ أَبِي أَيُّوبَ فَإِنَّهُ لَيُحَدِّثُ أَهْلَهُ إِذْ سَمِعَ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ وَهُوَ فِي نَخْلٍ لِأَهْلِهِ يَخْتَرِفُ لَهُمْ فَعَجِلَ أَنْ يَضَعَ الَّذِي يَخْتَرِفُ لَهُمْ فِيهَا فَجَاءَ وَهِيَ مَعَهُ فَسَمِعَ مِنْ نَبِيِّ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ فَقَالَ نَبِيُّ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَيُّ بُيُوتِ أَهْلِنَا أَقْرَبُ؟ فَقَالَ أَبُو أَيُّوبَ: أَنَا يَا نَبِيَّ اللهِ هَذِهِ دَارِي وَهَذَا بَابِي، قَالَ: فَانْطَلِقْ فَهَيِّئْ لَنَا مَقِيلًا، قَالَ: قُومَا عَلَى بَرَكَةِ اللهِ فَلَمَّا جَاءَ نَبِيُّ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جَاءَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ وَأَنَّكَ جِئْتَ بِحَقٍّ وَقَدْ عَلِمَتْ يَهُودُ أَنِّي سَيِّدُهُمْ وَابْنُ سَيِّدِهِمْ وَأَعْلَمُهُمْ وَابْنُ أَعْلَمِهِمْ فَادْعُهُمْ فَاسْأَلْهُمْ عَنِّي قَبْلَ أَنْ يَعْلَمُوا أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ فَإِنَّهُمْ إِنْ يَعْلَمُوا أَنِّي قَدْ أَسْلَمْتُ قَالُوا فِيَّ مَا لَيْسَ فِيَّ، فَأَرْسَلَ نَبِيُّ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَأَقْبَلُوا فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ وَيْلَكُمْ اتَّقُوا اللهَ فَوَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ حَقًّا وَأَنِّي جِئْتُكُمْ بِحَقٍّ فَأَسْلِمُوا، قَالُوا: مَا نَعْلَمُهُ، قَالُوا لِلنَّبِيِّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَهَا ثَلَاثَ مِرَارٍ، قَالَ: فَأَيُّ رَجُلٍ فِيكُمْ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَامٍ، قَالُوا: ذَاكَ سَيِّدُنَا وَابْنُ سَيِّدِنَا وَأَعْلَمُنَا وَابْنُ أَعْلَمِنَا، قَالَ: أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ؟ قَالُوا: حَاشَى لِلهِ مَا كَانَ لِيُسْلِمَ، قَالَ: أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ؟ قَالُوا: حَاشَى لِلهِ مَا كَانَ لِيُسْلِمَ، قَالَ: أَفَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ؟ قَالُوا: حَاشَى لِلهِ مَا كَانَ لِيُسْلِمَ، قَالَ: يَا ابْنَ سَلَامٍ اخْرُجْ عَلَيْهِمْ، فَخَرَجَ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ اتَّقُوا اللهَ فَوَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ وَأَنَّهُ جَاءَ بِحَقٍّ، فَقَالُوا: كَذَبْتَ، فَأَخْرَجَهُمْ رَسُولُ اللهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-))

الوقعة الخامسة والأخيرة:

من الوقائع التي ذُكرت في هذه السَّنة والتي أختم بها:

"شَرعيَّة الأذان" والأذان للصَّلاةِ مشروعٌ في السُّنة المُستفيضة المَشهورة والإِجماع المُتكاتف، وقد اختلف العلماء في زمنِ شرعيَّته على قولين:

* **القول ُ الأوَّل:** أنَّه شُرع بمكَّة، فقد جاء ذلك في عدة أحاديث ذكرها الحافظُ ابن حجر العسقلاني في كتابه فتح الباري، وبيَّن عِللها ثُمَّ خَتم بقوله:"والحقُّ أنَّه لا يصِحُ شيءٌ من هذه الأحاديث".
* **والقول الثَّاني:** أنَّه شُرع في المدينة، وهو قولُ أكثرَ أهلِ العلم وهو الصَّحيح الذي تدلُّ عليه الأحاديث الصَّحيحة، ومِن هذه الأحاديث ما أخرجه البخاري ومسلمُ وهذا لفظُ البخاري عن ابن عمر-رضي الله عنه- أنه قال : « أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: كَانَ الْمُسْلِمُونَ حِينَ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ يَجْتَمِعُونَ فَيَتَحَيَّنُونَ الصَّلَاةَ وَلَيْسَ يُنَادِي بِهَا أَحَدٌ فَتَكَلَّمُوا يَوْمًا فِي ذَلِكَ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: اتَّخِذُوا نَاقُوسًا مِثْلَ نَاقُوسِ النَّصَارَى ،وَقَالَ بَعْضَهُمْ: بَلْ قَرْنًا مِثْلَ قَرْنِ الْيَهُود،ِ فَقَالَ عُمَرُ- رَضِيَ اللهُ عَنْه-: أَوَلَا تَبْعَثُونَ رَجُلًا يُنَادِي بِالصَّلَاةِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ -صلَّى الله عليه وسلَّم-:يَا بِلَالُ قُمْ فَنَادِ بِالصَّلَاةِ»

والشَّاهد من هذا الحديث قوله: «كَانَ الْمسْلِمُونَ حِينَ قَدِمُوا المَدِينَةَ يَجْتَمِعُونَ فَيَتَحَيَّنُونَ الصَّلَاةَ وَلَيْسَ يُنَادِي بِهَا»،

وهذا الحديث ظاهرٌ في أنَّ الأذان قد تأخَّر عن أول قدوم النَّبيّ -صلَّى الله عليه وسلَّم-المدينة حتى كثُر النَّاس وانتشروا في المدينة وما حولها واحتاجوا حينئِذٍ إلى تعليم وقت الصَّلاة بشيءٍ يعرفونه معرفًة تامَّة.

وأمَّا سَنةُ شرعية الأذان فقد قال عنها الحافظُ ابن حجر العسقلاني -رحمه الله-في كتابه «فتح الباري»: "واختُلف في السنة التي فُرض فيها فالراجح أن ذلك كان في السنة الأوَّلى وقيل بل في السَّنة الثَّانية"،

وبهذا أكُون قد انتهيت من درس هذه اللَّيلة، وأسأل الله -جلَّ وعلا-أن ينفعني وإيَّاكم بما سمعتم وأن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتِّبعون أحسنه، وما أصبت فيه فبفضل من الله وحده، وما وقع من خلل فمن تقصير نفسي ومن الشَّيطان، وأستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو من ذلك، إنَّه غفورٌ رحيم.

وسبحان ربِّك ربِ العزة عمَّا يصفون، وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله ربِّ العالمين.

وللاستماع إلى الدروس المباشرة والمسجلة والمزيد من الصوتيات يُرجى زيارة موقع ميراث الأنبياء على الرابط

<http://ar.miraath.net/majaliss-tassiliya/index>



وجزاكم الله خيرا.